ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

المكان بنية سـردية وفلسـفية في رواية التبرـ قراءة وصفية تحليليةـ

أ. فادية إسماعيل ســـــالم*
ماجستير أدب ونقد معاصر- جامعة غريان
bdwyrfdwy@gmail.com

تاريخ الاستلام 1/ 3 / 2026م تاريخ القبول 11 / 5 / 2026م

Place as a Narrative and Philosophical Structure in the Novel "Al-Tabar": A Descriptive and Analytical Reading

*By Fadia Ismail Salem
Master's Degree in Contemporary Literature and Criticism - Gharyan University

Abstract
This study examines the structure of place and its narrative and philosophical significance in the novel "Al-Tibr" by Libyan novelist Ibrahim al-Koni. Through a descriptive analytical approach, it views place as an active structural element that transcends its role as a geographical setting for events, becoming an existential and symbolic space that contributes to shaping characters and constructing the text's intellectual vision. The study begins with the premise that the desert in "Al-Tibr" is not a neutral space, but a living entity charged with myth, memory, and metaphysical dimensions, where time and space, and the real and the mythical, intersect. The study analyzes the novel's fundamental spatial components, particularly the desert, the animal (the dappled mare), the sky, and the stone, in their relationship to time and myth. It draws on textual evidence that reveals the profound connection between humanity and nature in al-Koni's discourse, and his use of myth as a cognitive tool for interpreting desert existence and constructing collective consciousness

الملخـــــــص:
تتنـاول هـذه الدراسـة بنيـة المكـان ودلالاتـه السـردية والفلسـفية فـي روايـة التبـر للروائي الليبي إبراهيم الكـوني، مـن خـلال مقاربـة تحليليـة وصـفية تـرى فـي المكـان

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

عنصرًا بنيويًا فاعلًا يتجاوز كونه إطارًا جغرافيًا للأحداث، ليغدو فضاءً وجوديًا ورمزيًا يسهم في تشكيل الشخصيات وبناء الرؤية الفكرية للنص. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أنّ الصحراء في التبر ليست فضاءً محايدًا، بل كيانًا حيًا مشحونًا بالأسطورة والذاكرة والبعد الميتافيزيقي، يتقاطع فيه الزمان بالمكان، والواقعي بالأسطوري.

وتعتمد الدراسة على تحليل مكوّنات المكان الأساسية في الرواية، ولا سيما: الصحراء، الحيوان (المهري الأبلق)، السماء، والحجر، في علاقتها بالزمن والأسطورة، مستندة إلى شواهد نصية تكشف عن عمق الارتباط بين الإنسان والطبيعة في خطاب الكوني، وعن توظيف الأسطورة بوصفها أداة معرفية لتأويل الوجود الصحراوي وبناء الوعي الجمعي.

الكلمات المفتاحية: المكان- الصحراء- الأسطورة- الزمن.

المقدمـــــــــــة:

يحظـــى المكان بأهمية مركزية في الخطاب الروائي المعاصر، ولا سيما في الرواية التي تنشغل بأسئلة الوجود والهوية والإنسان في علاقته بالعالم. ويُعدّ الروائي الليبي إبراهيم الكوني من أبرز الكتّاب الذين منحوا المكان، وبخاصة الصحراء، دورًا بنيويًا وفلسفيًا في أعمالهم السردية، إذ تتحول الصحراء من مجرد خلفية جغرافية إلى كيان حيّ نابض بالرمز والأسطورة والدلالة الوجودية.

في رواية التبر، لا يظهر المكان بوصـــفه إطارًا محايدًا للأحداث، بل يتجسّد كقوة فاعلة تسهم في تشكيل الشخصيات، وتوجيه مصائرها، وبناء الرؤية الفكرية للنص. فالصحراء هنا ليست امتدادًا قاحلًا، بل فضاءً مشحونًا بالذاكرة الجمعية، وبالأسئلة الكبرى المتعلقة بالحرية، والقدر، والعزلة، والمصير الإنساني. كما تتداخل مكوّنات المكان الطبيعي – من حيوان وسماء وحجر – في بناء خطاب رمزي يعكس صراع الإنسان مع الوجود القاسي، وسعيه الدائم نحو المعنى والخلاص.

وانطلاقًا من هذا التصور، تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة المكان في رواية التبر مقاربة تحليلية، تنظر إليه بوصفه بنية سردية وفلسفية متكاملة، من خلال الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف يتشكّل المكان في رواية التبر ليغدو فضاءً وجوديًا ورمزيًا يسهم في بناء المعنى السردي والفلسفي؟

وتفترض الدراسة أنّ المكان في الرواية يتجاوز البعد الجغرافي ليغدو عنصرًا بنيويًا فاعلًا، تُسهم الأسطورة والزمن في تعميق دلالته.

المبحث الأول ـ مكوّنات المكان في رواية التبر:

أولًا ــ الصحراء بوصفها فضاءً وجوديًا:

تحتلّ الصحراء موقع الصدارة في البنية المكانية لرواية التبر، إذ تتغلغل في نسيج السرد وتترك أثرها في كل تفصيل من تفاصيل الحدث والشخصية. فهي ليست مجرد فضاء طبيعي قاسٍ، بل كيان حيّ يتكلم بلغة الرمز والأسطورة، ويختزن ذاكرة جمعية تمتد عبر الأجيال.

يقدّم إبراهيم الكوني الصحراء بوصفها فضاءً للامتحان الوجودي، حيث يُختبر الإنسان في صبره، وقدرته على التحمل، ووعيه بذاته وبالقدر. وهي، في الوقت نفسه، مجال للحرية والانفلات من القيود الاجتماعية والحضارية، إذ يواجه الإنسان ذاته عاريًا من الزيف، منخرطًا في صراع مباشر مع الطبيعة وقوانينها الصارمة.

ولا ينظر الكوني إلى الصحراء بوصفها سجنًا أو مجالًا للقهر، بل بوصفها فضاءً للمعرفة والتطهر، حيث تتكشّف الحقائق الوجودية الكبرى في صمتها واتساعها. ومن هنا تتحول الصحراء إلى رمز للحياة ذاتها، بما تنطوي عليه من قسوة وجمال، ومن تيه واكتشاف دائم.

"إن الصحراء مكان اللامتناهي ترتبط بها المغامرة، والحرية، والانطلاق والاكتشاف، والافلات من سطوة السلطة وابتكار القيم الجديدة وامتحان قدرات الذات"(1)

يصف الكوني الصحراء بوصفها كائنًا حيًا "الصحراء لا تبوح بأسرارها إلا لمن يتقن لغتها"(2)

إبراهيم الكوني لم يكن أسير الصحراء ؛ بل الصحراء كانت رفيقته في مغامرة ابداعية جعلت من قسوتها مصدرًا للجمال ومن صمتها صرخة وجودية مدوية.

ثانيًا ـ الحيوان (المهري الأبلق) ودلالته الرمزية

يشكّل الحيوان، ولا سيما المهري الأبلق، أحد أهم المكوّنات الدلالية في المكان الروائي للتبر. فالمهري لا يظهر بوصفه كائنًا ثانويًا أو أداة سردية، بل يتجاوز ذلك ليغدو رفيقًا وجوديًا للإنسان، وشريكًا في العزلة والمصير.

تقوم العلاقة بين الإنسان والمهري على الصمت، والمعرفة الحدسية، والانسجام العميق مع إيقاع الصحراء. فالخيل – أو المهري – يمتلك وعيًا فطريًا بقوانين البقاء، ويفهم لغة الصحراء أكثر مما يفهمها الإنسان، الأمر الذي يجعل منه رمزًا للحكمة الطبيعية التي فقدها البشر.

ويعكس حضور المهري اغتراب الإنسان عن عالمه الاجتماعي، وهروبه إلى الطبيعة بوصفها الملاذ الأخير من القهر والفساد. كما يكشف هذا الحضور عن رؤية الكوني للعلاقة بين الإنسان والحيوان، بوصفها علاقة تكامل لا سيطرة، ومعرفة لا إخضاع.

كما يعتقد إبراهيم الكوني في رواية "التبر" علاقة فريدة وشديدة الخصوصية بين "أوخيذ"

بطل الرواية و"المهري" " الأبلق" ذلك الجمل الأسطوري الذي يتجاوز كونه مجرد حيوان ليصبح رفيقًا روحيًا ومرآة نفسية لأوخيد يصور الكون" المهري الأبلق" كـ كائن بشري الحس مملوءة بالحكمة والصبر والفلسفة الصامتة في سكوته تكمن قوة عميقة وفي خطواته إيقاع الصحراء اللا متناهية يقول الكوني " المهري يعرف ما لا يعرفه البشر يعرف سر البقاء في الصحراء القاسية(3)

الكوني يجعل من المهري الأبلق شخصية محورية يستأثر الحيوان بمكان بمكانة جليلة وحضور مكثف في السرج الكوني حيث الجمل والمهري وحيوانات الصحراء الأخرى تتبوأ أدوارًا محورية في نسيج الحكاية في فضاء الصحراء القاسي، حيث يغدُوا الاغتراب حالة وجودية، ينعدم فيه التواصل الإنساني لا يجد الإنسان أنيسًا أو رفيقًا إلا في عالم الحيوانات.

"المهري الأبلق" في رواية التبر يجسد عمق الارتباط بين الانسان والحيوان في بيئة منفصلة.

نجد في وفاء المهري يمكن تمرده على وحده الصحراء ورفض الاغتراب الإنساني.

وإن حيوانات الصحراء في عالم الكوني ليست كائنات ثانوية بل شخصيات فاعلة تحمل رموزًا عميقة هل يعكس حضور الحيوان في مسرد الكون هروبًا من الاغْتراب الانساني أم تعبيرًا عن عمق الارتباط بالطبيعة؟

ثالثًا ــ السماء والحجر ـ ثنائية الرمز والدلالة ـ :

تتخذ السماء والحجر في رواية التبر بعدًا رمزيًا عميقًا، إذ يشكّلان ثنائية دلالية تعبّر عن التوتر القائم بين التطلع الإنساني نحو المطلق، والقيود الصلبة التي تكبّل الوجود.

فالسماء ترمز إلى العلو، والحرية، والأمل بالخلاص، والاتصال بالمطلق، لكنها في كثير من المواضع تبدو صامتة، لا تمنح الإنسان إجابة أو نجاة، مما يعمّق الإحساس بالخذلان الوجودي وغياب المتعالي. أما الحجر فيرمز إلى الثبات، والجمود، والقيود الاجتماعية والأعراف الصلبة التي تسحق الفرد وتحاصره.

ومن خلال هذه الثنائية، يعمّق الكوني مأزق الإنسان الوجودي، ويحوّل المكان إلى مرآة تعكس صراعه الداخلي بين الرغبة في التحرر وسلطة الواقع القاسي.

كما أن الحجر في الرواية يحمل بعدًا عقابيًا من رجم أو قذف أو تكسير الانسان داخل البنيه السلطوية والاخلاقية نستطيع القول أن السماء تحمل أسرارًا في داخلها كما أنها تضيف خيالًا يتمتع بالألفة لدى الانسان الحالم لصفه الإنسانية تتجلى فلسفه الرواية في توازن دقيق بين العلوم والثبات، بين الرؤية والتلقي حيث يبحث الروائي الليبي عن الأصالة والتجديد معًا قال- تعالـــــى - : ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ** ﴾(4) ، فالسماء آية من آيات الله تدل على عظمته وقدرته يقول غاستون باشلار في كتابه : "المكان بالنسبة لي يحمل خصوصية قومية كما يعبر عن الرؤية"(5)

في معظم الدراسات التي تناولت رواية "التبر" نجد أن هناك جانبًا مهمًا قد أغفل وهو رمز السماء والحجر الذي يمثل عمقًا فلسفيًا ورمزيًا في رحلة "أوخيذ"

إن السماء الحاضن والملاذ عندما انطلق أوخيذ مع مهريه في الصحراء كانت السماء له ملاذًا وملجأً نقيًا حر الصحراء وتضيء لها الطريق في ظلامها.

الحجر هو الثبات والتحدي في مواجهة الصعاب والتحديات كان الحجر رمزًا للقوة والصلابة يختبر أوخيذ قدرته على التغلب على العقبات والاستمرار في رحلته وهنا نلاحظ إن رواية التبر تجسد الرموز الفلسفية العميقة، حيث تبرز السماء والحجر كعنصرين أساسيين في تشكيل رؤية الشخصية الرئيسية.

هذه الرموز تعكس التحديات التي يواجهها الانسان ورغبته في التحرر والاستقراء.

يقول "كان يرفع بصره إلى السماء فيرى فيها مرآة لبيته الأبدي"(6)

كما يقول "كل حجر في الصحراء شاهد على خطيئة قديمة".

المبحث الثاني ـ تداخل المكان والزمن والأسطورة:

أولًا ـ الزمن الأسطوري وبنية السرد:

يتجاوز الزمن في رواية التبر خطيّته التقليدية، ليغدو زمنًا دائريًا أسطوريًا، تتداخل فيه الأزمنة، ويعود الماضي بوصفه حاضرًا دائمًا في الوعي الجمعي. فالزمن هنا لا يتحرك إلى الأمام بقدر ما يدور في حلقات، معيدًا إنتاج الحدث بصيغ رمزية.

ويؤدي هذا الزمن الأسطوري دورًا أساسيًا في بناء العالم السردي، إذ يمنح النص طابعًا كونيًا، ويحرّره من قيود الواقعي المباشر، ليغدو مجالًا لتأويل الوجود الإنساني في بعده العميق.

"هو زمن الدوري الذي نجده في شكل حقيقه انترويولوجية في جميع الحضارات القديمة والقائم على امكانية تكرار الزمان مع تكرار الأفعال النموذجية المحاكية لفعل مقدس أول ولا يختلف هذا الزمن عن الزمن الأول زمن أساطير الخليفة؛ ألن أساطير الخليفة تنطوي على أن الخلق عمل متجدد أ بدًا" (7)

" الزمن في هذه ال رواية ليس قو ة ديناميكية تدفع الحديث أو تصعده أو تجمده، بل هو حامل للحدث عبر دائرته التي تمنحه صيغه أسطورية، تحيلنا إلى زمن أسطوري في رواية التبر تظهر قصة الجدة التي تعود إلى الماضي ونتحدث عن الأساطير القديمة مما يخلق تداخلاً زمنيًا يخدم السرد الأسطوري "كانت الجدة تجلس على الأرض تحكي لنا قصصًا عن الماضي، عن الماضي، عن الأساطير القديمة، عن الأجداد الذين كانوا يعيشون في هذه الأرض"(8)

"كذلك "كانت الجدة تحكي لنا عن الأجداد ، عن حياتهم عن قصصهم، عن الأساطير التي كانت تحكمهم" (9) "

ولعل الزمن الدائري في رواية التبر هو المحور الذي ترتبت فيه عناصر التشويق والايقاع والاستمرار حيث يدخل الزمن ثلاثة مستويات الماضي والحاضر والمستقبل حيث تعيش الشخصية الرئيسية في عالمين مختلفين "كنت أجد نفسي في عالمين مختلفين عالم الماضي وعالم الحاضر، كنت أجد صعوبة في التمييز بينهما"(10)

في رواية التبر الزمن كما أشرنا ليس قوة ديناميكية تحرك الأحداث بل هو ظل الفكر الأسطورية يدور في دائرة مغلقة ويحمل الحدث من عالم إلى آخر مما يمنح النص صيغة اسطورية خالدة، لذلك استخدام الرموز الأسطورية لتشكل السرد وتفسير الأحداث يقول "كان الطائر الأسود يطير فوقنا، كان رمزًا للشر والدمار"(11)

وهنا "كانت الثعابين تتحرك في الحقول كانت رمزًا للحكمة والقدرة"(12)

ثانيًا ـ الأسطورة وبناء المكان الســـــردي:

لا تُوظَّف الأسطورة في التبر بوصفها عنصرًا زخرفيًا، بل تؤدي وظيفة بنيوية ومعرفية، إذ تسهم في تحويل المكان من فضاء جغرافي إلى كيان حيّ مشبع بالذاكرة والروح. ويتجلى ذلك في المعتقدات المرتبطة بالريح، وأرواح الأجداد، والظواهر الطبيعية التي تُقرأ بوصفها علامات دالة على حضور الغائب.

وتعمل الأسطورة على رفع المكان فوق واقعيته الفيزيقية، ليغدو فضاءً تتقاطع فيه الأزمنة، وتتداخل فيه الحياة بالموت، والحضور بالغياب، مما يمنح السرد عمقًا دلاليًا وفلسفيًا.

"قال شيوخ إن الريــح التي تعوي في الليل هي أرواح الأجداد الضائعة"(13)

يشكل هذا النص نموذجًا دالًا على الكيفية التي يعيد بها إبراهيم الكوني بناء الصحراء وفق منظور أسطوري يزواج بين الوجودي والتاريخي.

فالأسطورة هنا ليست توظيفًا زخرفيًا بل هي أداء معرفية تستخدم لفهم الطبيعة وتأويلها، انطلاقًا من الموروث الشفهي للطوارق ومن رؤية الانسان الصحراء للعالم.

ثالثًا ــ البعد الفلسفي الوجودي للمكان:

تكشف الأسطورة في التبر عن رؤية وجودية ترى في الصحراء مرآة لقلق الإنسان ووحدته وتيهه. فأصوات الأجداد الضائعة التي تحملها الريح ليست سوى صدى لوجود سابق لم يكتمل، وذاكرة جمعية تطارد الإنسان الصحراوي وتذكّره بهشاشته أمام القدر.

وبذلك يتحول المكان إلى تعبير عن مأزق الوجود الإنساني، وعن الصراع الدائم بين الرغبة في التحرر وسلطة القيم الصلبة، ليغدو فضاءً فلسفيًا يعكس بحث الإنسان المتواصل عن المعنى والاستقرار.

رابعًا ـ وظيفه الأسطورة في الخطاب الروائي:

من خلال هذا التوظيف يُبرهن الكوني على إن المكان في روايته ليس وعاءً محايدًا، بل هو نسيج من الأساطير والرموز والصور الكثيفة التي تمنح السرد عميقه وتأويليه فالأسطورة تؤدي دورًا مزدوجًا:

إضافة البعد الروحي على الصحراء وإقامة صله بين الانسان وموروثه على الغابر.

تعميق التوتر الجودي الذي يعيشه الأبطال في عالم تحكمه قوة غير مرئية.

إذًا الأسطورة هنا ليست زينه سردية، بل مكون من الثقافة المحلية التي تدخل الرواية.

الخاتمـــــــــــــة:

خلُصت هذه الدراسة إلى أنّ المكان في رواية التبر لإبراهيم الكوني يشكّل بنية سردية وفلسفية متكاملة، تتجاوز حدود الجغرافيا لتغدو فضاءً وجوديًا وأسلوبيًا فاعلًا في إنتاج المعنى. فالصحراء ليست صامتة، بل تنطق بأصوات الذاكرة والأسطورة، وتشارك في تشكيل وعي الشخصيات ومصائرها.

كما أسهم توظيف الحيوان، والسماء، والحجر، والزمن الأسطوري في تعميق الدلالة الرمزية للمكان، ومنحه بعدًا ميتافيزيقيًا يجعل منه أحد أهم محركات الرؤية الفكرية في الرواية. وبذلك ينجح إبراهيم الكوني في تحويل المكان إلى عنصر مركزي في البناء السردي، ووسيلة للكشف عن قلق الإنسان واغترابه وسعيه الدائم نحو الحرية والمعنى.

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

(1) سيزا قاسم،يوري لوتمان وآخرون، جماليات المكان، الدار البيضاء،ط1988،2،ص62.
(2) إبراهيم الكوني، رواية التبر،ص17.
(3) إبراهيم الكوني، رواية التبر،ص19
(4) سورة ق، الآية 6.
(5) غاستون باشلان، جماليات، المكان، تر: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1984،ص6.
(6) إبراهيم الكوني، رواية التبر،ص64.
(7) محمد عجينه، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ج2.194
(8) إبراهيم الكوني، رواية التبر، ص12.
(9) المصدر نفسه، ص35.
(10) المصدر نفسه،ص100
(11) المصدر نفسه، ص 20.
(12) إبراهيم الكوني، رواية التبر، ص40
(13) المصدر نفسه،ص146.